التنـوع والتكامـل بين القراءات القرآنيـة

دراســة تحليليــة

إعداد الدكتور

فيصل بن جميل بن حسن غزاوي

كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى

مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية

التنوع والتكامل بين القراءات القرآنية - دراسة تحليلية

فيصل بن جميل بن حسن غزاوي.

تخصص القرآن وعلومه، قسم القراءات، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: fgghazzawi@uqu.edu.sa

الملخص:

عُني هذا البحث بإبراز أن تعدد القراءات القرآنية وحي من عند الله، وهي محفوظة كما أن القرآن محفوظ (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)، وأنه ليس للبطلان إليها سبيل كما هو حال القرآن الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)، وأنه على الرغم من اختلاف بعض ألفاظ القراءات المتواترة إلا أن ذلك ليس من باب التضاد والتناقض، بل من باب التنوع والتكامل، وقد ذُكر في آخر مبحث من البحث أمثلة متنوعة توضح هذا المعنى، وخُتم بخاتمة تضمنت جملة من النتائج منها: أن هذه القراءات مع اختلاف لفظها ومعناها إلا أنها لم تتناقض ولم تتضاد، فكل قراءة حق، واختلافها من باب التعدد والتنوع، وهذا يُعد ضربًا من ضروب البلاغة والإعجاز، وقد اتبعت المنهج التحليلي الموضوعي القائم على جمع واستقراء ما كتب في الباب.

الكلمات المفتاحية: القراءات، القرآنية، التنوع، التكامل، التضاد، الإعجاز.

Variation and Integration in between the Modes of Qur'anic Recitation An Analytical Study

By: Faisal Bin Jameel Bin Hassan Ghazzawi
Majored in The Holy Qur'an and its Sciences
Department of Qur'anic Readings
Faculty of Dawah and Fundamentals of Religion
Umm Al- Qura University
Mecca- K.S.A

Abstract

This research is designed to highlight the variation of Qur'anic modes of recitation as a revelation from Almighty Allah and they are preserved exactly as the Holy Qur'an (Indeed, it is We who sent down the Qur'an and indeed, We will be its guardian), falsehood can never find any way into those recitations typically as the Holy Qur'an which is (Falsehood cannot approach it from before it or from behind it;[it is] a revelation from a [Lord who is] Wise and Praiseworthy. Despite the different utterances of the consecutive readings of the Holy Qur'an, one cannot find any kind of contradiction or controversy as it is considered a kind of variation and integration. There are various examples that emphasize this meaning in the last section of this research. Finally, the conclusion sums up the findings of the research. For instance, although the modes of recitation have different utterances and meanings, they are neither in contrast nor conflict. Each mode of recitation is a truth, and those differences constitute a kind of variation and diversity. This variation incarnates the rhetoric and inimitability of the modes of recitation. The research applies the objective analytical approach relying on collecting and examining all what has been written in such a chapter.

Key words: readings, Qur'anic, variation, integration, contradiction. Inimitability.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمـــة

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، وأرسل رسوله بالهدى ودين الحق داعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد...

فإنَّ علم القراءات القرآنية من أهم العلوم التي حظيت باهتمام علماء المسلمين لتعلقه بكتاب الله ﷻ.

ومما اختص به هذا العلم نزوله على أحرف سبعة كانت السبب في تنوع وكثرة القراءات المختلفة، فجاء مُصرَّفًا على أوسع اللغات، تيسيرًا للأمة ورفعًا للحرج عنها، وما ذاك إلا دليلٌ من دلائل إعجازه وبديع نظمه.

وليست القراءات القرآنية كما قد يظنه البعض بتنوع لفظي فقط، بل إنها في تكامل وتنوع عظيم يدلك على عظمة هذا الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، لذلك رأيت أن أجمع بحثا في هذا الموضوع بعنوان: التنوع والتكامل بين القراءات القرآنية "دراسة تحليلية"

وأسأل الله التوفيق والسداد،،،

أهمية الموضوع:

تبرز أهمية الموضوع في عدة أمور:

١-كونه متعلقا بكتاب الله، والعلوم إنما تشرف بشرف متعلقها.

٢-حصول الفهم القاصر في أن هناك اختلافَ تضادٍ وتعارض بين القراءات القرآنية المتواترة.

٣-أنني لم أجد من كتب في هذا الباب بحثا مفردا مستقلا، فاستحق لأهميته أن يكتب فيه.

أسباب اختيار الموضوع:

تكمن أسباب الاختيار للموضوع فيما يلي:

١- أهمية هذا الموضوع، وقد تقدم ذلك.

٢-معرفة المصطلحات العلمية وتمييز المقصود بها قديما وحديثا ومعرفة فوائد تنوع القراءات، وتباينها واختلافها وتغايرها.

٣- الإسهام في خدمة كتاب الله والحركة العلمية والمشاركة في إحياء التراث الإسلامي.

الدراسات السابقة:

حسب اطلاعي وبعد الرجوع إلى المراكز المتخصصة للرسائل الأكاديمية، والتواصل مع الجامعات لم أجد بحثا موضوعيا ودراسة تحليلية تفصيلية أكاديمية في الموضوع وفق ما تناولته في الخطة.

خطة البحث:

وتتكون من مقدمة، وأربعة مباحث، وفهارس على النحو التالي:

المقدمة: وتشتمل على: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجه.

المبحث الأول: مفردتا التنوع والتكامل.

المبحث الثاني: بيان معنى القراءات القرآنية.

المبحث الثالث: حكم تعدد القراءات.

المبحث الرابع: أمثلة على أن القراءات من باب التنوع والتكامل لا من باب التضـــاد والاختلاف والتعارض.

الخاتمة: وفيها ذكر أهم نتائج البحث والتوصيات العلمية.

الفهارس: وتشتمل على التالي:

١- ثبت المصادر والمراجع.

٢- فهرس الموضوعات.

منهج البحث وخطوات العمل فيه:

سيكون منهج البحث إن شاء الله منهج البحث التحليلي الموضوعي القائم على جمع واستقراء ما كتب في الباب وفق الخطوات التالية: -

١- الالتزام بالمنهج العلمي المتبع في البحث والرجوع للمصادر الأصيلة ما أمكن.

٢- مراعاة القواعد الإملائية المقررة، مع الالتزام بعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

٣- نسبة الآيات إلى مواضعها بذكر اسم السورة ورقم الآية، مع كتابتها بالرسم العثماني.

٤- توثيق النقول الواردة من مصادرها الأصلية، والتعليق على ما يحتاج إلى تعليق.

المبحث الأول

مفردتا التنوع والتكامل

أ. النوع أخص من الجنس، وقد تنوع الشـــيء أنواعا، ونوعته تنويعا: جعلته أنواعا منوعة، والنوع: الصنف من كل شيء، ويقال: ما أَدري على أَيّ نوعٍ هو: وَجْه. والنوع: كل ضرب من الشيء، وكل صنف من كل شيء، ونوع الأشياء: صنفها وجعلها أنواعا. وتنوع الشيء: صار أنواعا وهو مطاوع نوعته. ونوعت الشيء: جعلته أنواعا.(١)

ب: وأما التكامل: فتكامل الشـــيء وأكملته أَنا وأكملت الشـــيء أَي أجملته وأَتممته، وأكمله هو واستكمله وكَمَّله: أَتَمَّه وجَمَلَه.(٢)

(١) ينظر: مختار الصحاح (ص: ٣٢٢)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٦٣١) ، القاموس المحيط (ص: ٧٦٩)، المعجم الوسيط (٢/ ٩٦٣) ، تاج العروس (٢٢/ ٢٨٩).

(٢) لسان العرب (١١/ ٥٩٨).

المبحث الثاني

بيان معنى القراءات القرآنية

أ. القراءات لغة: جمع قراءة، والقراءة مصدر لفعل قرأ يقرأ قراءة وقرآنا فهو قارئ وهم قرّاء أو قارئون. ومدار المادة القاف والراء والهمز على الجمع والاجتماع، ومثله قرى بالحرف المعتل بدل الهمز.(١)

قال ابن فارس رحمه الله "القاف والراء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على جمع واجتماع، ومن ذلك القرية، سميت قرية لاجتماع الناس فيه. ويقولون: قريت الماء في المقرات: جمعته وإذا همز هذا الباب أي: قرى يصبح قرأ كان هو والأول سواء.(٢)

وقال الراغب عليه رحمة الله: "والقراءة ضم الكلمات والحروف بعضها إلى بعض في الترتيل، وليس يقال ذلك لكل جمع. لا يقال قرأت القوم: إذا جمعتهم، ويدل على ذلك أنه لا يقال للحرف الواحد إذا تفوه به قراءة(٣).

قال بعض العلماء: تسمية هذا الكتاب قرآنا من بين كتب الله لكونه جامعا لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم، كما أشار تعالى إليه بقوله: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾(٤) وقوله تعالى: ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾(٥).

---

(١) لسان العرب (١/ ١٢٩)، تاج العروس (١/ ٣٧١).

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ٧٨).

(٣) المفردات في غريب القرآن (ص: ٦٦٨).

(٤) [يوسف:١١١].

(٥) [النحل:٨٩].

ب- تعريف القراءات اصطلاحا

اختلفت عبارات العلماء في تعريف القراءات اصطلاحا ومؤداها متقارب في المعنى، فقيل: القراءات: علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوا لناقله.[١]

وقال القسطلاني رحمه الله: القراءات: علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتب الله، واختلافهم في اللغة والإعراب، والحذف والإثبات، والتحريك والإسكان، والفصل والاتصال، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال من حيث السماع.[٢]

وعرفها الشيخ عبد الفتاح القاضي -رحمه الله- بقوله: "هو علم يُعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقًا واختلافًا مع عزو كل وجه لناقله" [٣]

(١) منجد المقرئين ومرشد الطالبين (ص: ٩).

(٢) لطائف الإشارات لفنون القراءات. (١/ ١٧٠).

(٣) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (ص: ٧).

المبحث الثالث

حِكَـم تعـدد القـراءات

من فوائد تعدد القراءات بيان أن القرآن الكريم وقراءاته المختلفة من عند الله ﷻ تنزيل من حكيم حميد، واختلاف القراءات إنما هو من باب التعدد والتنوع لا من باب التضارب والتضاد، وهذا ضرب من ضـــروب البلاغة والإعجاز في القرآن الثابتة بالنقل في جميع القراءات. ومن المتقرر عند العلماء أن القراءات أبعاض القرآن، وأن كل قراءة بمثابة آية مستقلة من حيث دلالتها على المعنى، وبيان ذلك: إنه إذا جاءت قراءتان متواترتان في كلمة من القرآن وكان لكل قراءة تفسير يغاير التفسير الآخر ولم يمكن اجتماعهما في شيء واحد فهما بمنزلة الآيتين. ولذا فجميع القراءات القرآنية لا تناقض نفسها من حيث المعنى، بل فيها تنوع وتكامل يكشف عن وجوه الإعجاز في هذا الكتاب العظيم وشمول معانيه وتيسير تلاوته.

ولننقل ما ذكره العلماء عليهم رحمة الله في تقرير هذه القاعدة العظيمة المتعلقة بتنوع القراءات.

قال الســـمرقندي ﷺ: اختلف الناس في الآية التي قرئت بقراءتين. قال بعضـــهم: بأن الله تعالى قال بقراءة واحدة إلا أنه قد أذن بأن يقرأ بقراءتين. وقال بعضـهم: إن الله تعالى قال بهما جميعـًا، والذي صـح عندنا والله أعلم أنه لو كان لكل قراءة تفسير بخلاف تفسير القراءة الأخرى فقد قال بهما جميعـًا فصارت القراءتان بمنزلة آيتين.[١]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ بعد أن ذكر نوعي الخلاف الواقع بين معاني القراءات: فهذه القراءات التي يتغاير فيها المعنى كلها حق وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها واتباع ما تضمنته من المعنى علما وعملا لا يجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى ظنا أن ذلك تعارض، بل كما قال عبد الله بن مسعود ﷺ (من كفر بحرف منه فقد كفر به كله).[٢]

---

(١) بستان العارفين (٢٠، ٢١).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٩١)، وأثر ابن مسعود ﷺ أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٨/ ٤٧٢).

وقال ابن الجزري رحمه الله: فليس في شيء من القراءات تناف ولا تضاد ولا تناقض.

وكل ما صح عن النبي -ﷺ- من ذلك فقد وجب قبوله، ولم يسع أحدا من الأمة رده ولزم الإيمان به، وإن كله منزل من عند الله، إذ كل قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها واتباع ما تضمنته من المعنى علما وعملا، ولا يجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى ظنا أن ذلك تعارض.(١)

وقال ابن عاشور عليه رحمة الله: وأما الحالة الثانية: فهي اختلاف القراء في حروف الكلمات ... وكذلك اختلاف الحركات الذي يختلف معه معنى الفعل ... وهي من هذه الجهة لها مزيد تعلق بالتفسير لأن ثبوت أحد اللفظين في قراءة قد يبين المراد من نظيره في القراءة الأخرى، أو يثير معنى غيره، ولأن اختلاف القراءات في ألفاظ القرآن يكثر المعاني في الآية الواحدة ... ويكون وجود الوجهين فأكثر في مختلف القراءات مجزئا عن آيتين فأكثر، وهذا نظير التضمين في استعمال العرب، ونظير التورية والتوجيه في البديع، ونظير مستتبعات التراكيب في علم المعاني، وهو من زيادة ملائمة بلاغة القرآن، ولذلك كان اختلاف القراء في اللفظ الواحد من القرآن، قد يكون معه اختلاف المعنى، ولم يكن حمل أحد القراءتين على الأخرى متعينا ولا مرجحا.(٢)

وقال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: اعلم أولا أن القراءتين إذا ظهر تعارضهما في آية واحدة لها حكم الآيتين كما هو معروف عند العلماء.(٣)

إذا تبين هذا فإن مراعاة هذا الأمر عند تفسير الآية والكلام على معانيها مما يحمد لصاحبه ويعد ميزة ومنقبة ليست لغيره ممن أغفل ذلك ولم يوله اهتماما.

---

(١) النشر في القراءات العشر (١/ ٥١).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٥٥) باختصار.

(٣) أضواء البيان (٢/ ٨).

المبحث الرابع

أمثلة على أن القراءات من باب التنوع والتكامل لا من باب التضاد والاختلاف والتعارض

وهذه الأمثلة على أقسام: فأمثلة لقراءات بينت معنى الآية، وأخرى لقراءات وسعت معنى الآية، وأمثلة لقراءات أزالت الإشكال[١] وهاك سردها مع بيان أقسامها:-

أ. أمثلة لقراءات بينت معنى الآية:

١-قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [٢]

اختلفت القراء في قراءة ذلك. فقرأه بعضهم: حتى يطْهُرن بضم الهاء وتخفيفها. وقرأه آخرون بتشديد الهاء وفتحها.

وأما الذين قرأوه بتخفيف الهاء وضمها، فإنهم وجهوا معناه إلى: ولا تقربوا النساء في حال حيضهن حتى ينقطع عنهن دم الحيض ويطهرن. وقال بهذا التأويل جماعة من أهل التأويل.... وأما الذين قرأوا ذلك بتشديد الهاء وفتحها، فإنهم عنوا به: حتى يغتسلن بالماء. وشددوا "الطاء" لأنهم قالوا: معنى الكلمة: حتى يتطهرن، أدغمت التاء في الطاء لتقارب مخرجيهما.[٣]

فحاصل القراءتين يبين المعنى بحمد الله وأنه يجوز للرجل أن يأتي أهله بعد انقطاع دم الحيض وعلى القراءة الأخرى فإن له ذلك بعد انقطاعه وتطهرهن واغتسالهن، فتبين أنه لا تضاد ولا اختلاف بين القراءتين، بل هو اختلاف تنوع وتكامل والحمد لله.

٢- قوله تعالى: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [٤]

قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عامر (لامَسْتُم). وقرأ حمزة والكسائي: (لَمَسْتم) وفي معناه ثلاثة أقوال:

---

(١) أفدت هذا المبحث من كتاب: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام للدكتور محمد بن عمر بازمول.

(٢) [البقرة: ٢٢٢].

(٣) جامع البيان في تفسير القران للطبري (٢/ ٢٢٧).

(٤) [المائدة: ٦].

الأول- أن يكون لمستم جامعتم.

الثاني- لمستم باشرتم.

الثالث- يجمع الأمرين جميعا.

و (لامستم) بمعناه عند أكثر الناس، إلا أنه حكي عن محمد بن يزيد أنه قال: الأولى في اللغة أن يكون (لامستم) بمعنى قبلتم أو نظيره، لأن لكل واحد منهما فعلا.

قال: و (لمستم) بمعنى غشيتم ومسستم، وليس للمرأة في هذا فعل.(١)

فحاصل القراءتين يبين المعنى بحمد الله وأن الوضوء ينقض بمس المرأة وغشيانها، وعلى القراءة الأخرى لا يحصل النقض إلا بحصول الجماع، فتبين أنه لا تضاد ولا اختلاف بين القراءتين بل هو اختلاف تنوع وتكامل والحمد لله.

٣- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾(٢)

وقرأ ابن مسعود والأعمش ويحيى بن وثاب وحمزة والكسائي" لنثوينهم" بالثاء مكان الباء من الثوي وهو الإقامة، أي لنعطينهم غرفا يثوون فيها.

وقرأ رويس عن يعقوب والجحدري والسلمي" ليبوئنهم" بالياء مكان النون.

الباقون" لنبوئنهم" أي لننزلنهم.(٣)

فحاصل القراءتين يبين المعنى بحمد الله وأن لفظة "لنبؤأنهم" أي لننزلنهم وعلى القراءة الأخرى "لنثوينهم" أي لنعطينهم غرفا يثوون فيها أي يقيمون. فتبين أنه لا تضاد ولا اختلاف بين القراءتين، بل هو اختلاف تنوع وتكامل والحمد لله.

---

(١) تفسير القرطبي (٥/ ٢٢٣).

(٢) [العنكبوت: ٥٨].

(٣) تفسير القرطبي (١٣/ ٣٥٩).

٤-قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِ﴾[١]

قرأ ابن كثير:" فتلقى آدم من ربه كلمات". والباقون برفع" آدم" ونصب" كلمات". والقراءتان ترجعان إلى معنى لأن آدم إذا تلقي الكلمات فقد تلقته. وقيل: لما كانت الكلمات هي المنقذة لآدم بتوفيق الله تعالى له لقبول إياها ودعائه بها كانت الكلمات فاعلة وكان الأصل على هذه القراءة" فتلقت آدم من ربه كلمات" ولكن لما بعد ما بين المؤنث وفعله حسن حذف علامة التأنيث.[٢]

فحاصل القراءتين يبين المعنى بحمد الله وأن آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام إذا تلقى الكلمات من ربه فقد تلقته، فتبين أنه لا تضاد ولا اختلاف بين القراءتين، بل هو اختلاف تنوع وتكامل والحمد لله.

٥-قوله تعالى: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾[٣]

اختلف القراء في قراءة قوله:(ربنا باعد بين أسفارنا) فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة (ربنا باعد بين أسفارنا) على وجه الدعاء والمسألة بالألف. وقرأ ذلك بعض أهل مكة والبصرة(بعد) بتشديد العين على الدعاء أيضا. وذكر عن المتقدمين أنه كان يقرؤه (ربنا باعد بين أسفارنا) على وجه الخبر من الله أن الله فعل بهم ذلك، وحكي عن آخر أنه قرأه (ربنا بعد) على وجه الخبر أيضا غير أن الرب منادى.[٤]

---

(١) [البقرة: ٣٧].

(٢) تفسير القرطبي (١/ ٣٢٦).

(٣) [سبأ: ١٩].

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٨٨)، وقد قرأ يعقوب "ربنا" بالرفع وبقية القراء بالنصب، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام عن ابن عامر "بعِّدْ" فعل أمر، وقرأ يعقوب: "باعَدَ"، وقرأ الباقون "باعِدْ". ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص: ٣٦٢).

فحاصـــل القراءتين يبين المعنى بحمد الله وأن الوضـــوء ينقض بمس المرأة وغشـــيانها، وعلى القراءة الأخرى لا يحصـل النقض إلا بحصـول الجماع، فتبين أنه لا تضـاد ولا اختلاف بين القراءتين، بل هو اختلاف تنوع وتكامل والحمد لله.

ب. أمثلة لقراءات وسعت معنى الآية:

١ - قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾ (١)

فيه قراءتان:

إحداهما: بتاءين قرأ بها حمزة والكسائي. وفي تأويلها ثلاثة أوجه:

أحدها: تتبع كل نفس ما قدمت في الدنيا، قاله السدي، ومنه قول الشاعر:

إنَّ الـمُـريـبَ يَـتَّـبِـعُ الـمـريـبـا أما رأيـت الـذيـبَ يَـتْـلـو الـذيـبـا

الثاني: تتلو كتاب حسناتها وكتاب سيئاتها، ومن التلاوة.

والثالث: تعاين كل نفس جزاء ما عملت.

والقراءة الثانية: وهي قراءة الباقين تتلو بالباء وفي تأويلها وجهان:

أحدهما: تسلم كل نفس.

الثاني: تختبر كل نفس. قاله مجاهد. (٢)

فحاصل القراءتين يوسعه المعنى بحمد الله فعلى قراءة التاء فإن المراد التلاوة أو معاينة الجزاء أو اتباعها ما قدمته في الدنيا، وعلى القراءة الأخرى بالباء فإن المعنى أن تُسْلم كل نفس أو تختبر، فتبين أنه لا تضـــاد ولا اختلاف بين القراءتين، بل هو اختلاف تنوع وتكامل وزيادة وتوســـيع في المعنى والحمد لله.

(١) [يونس: ٣٠].

(٢) النكت والعيون للماوردي (٢/ ١٨٩).

٢-قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [١]

اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الكوفة: (بل عجبت ويسخرون) بضم التاء من عجبت، بمعنى: بل عظم عندي وكبر اتخاذهم لي شريكا، وتكذيبهم تنزيلي وهم يسخرون. وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة (بل عجبت) بفتح التاء بمعنى: بل عجبت أنت يا محمد ويسخرون من هذا القرآن.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

فإن قال قائل: وكيف يكون مصيبا القارئ بهما مع اختلاف معنييهما؟ قيل: إنهما وإن اختلف معناهما فكل واحد من معنييه صحيح، قد عجب محمد مما أعطاه الله من الفضل، وسخر منه أهل الشرك بالله، وقد عجب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله، وسخر المشركون بما قالوه.

فإن قال: أكان التنزيل بإحداهما أو بكلتيهما؟ قيل: التنزيل بكلتيهما. فإن قال: وكيف يكون تنزيل حرف مرتين؟ قيل: إنه لم ينزل مرتين، إنما أنزل مرة، ولكنه أمر ﷺ أن يقرأ بالقراءتين كلتيهما، ولهذا موضع سنستقصي إن شاء الله فيه البيان عنه بما فيه الكفاية. [٢]

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ أي بل عجبت يا محمد من تكذيب هؤلاء المنكرين للبعث وأنت موقن مصدق بما أخبر الله تعالى من الأمر العجيب وهو إعادة الأجسام بعد فنائها وهم بخلاف أمرك من شدة تكذيبهم ويسخرون مما تقول لهم من ذلك.

قال قتادة: عجب محمد ﷺ، وسخر ضُلاَّل بني آدم [٣]

(١) [الصافات: ١٢].

(٢) جامع البيان للطبري (٢١/ ٢٢)، وقد سبق تأصيل هذه المسألة وأن القراءتين المختلفتين بمنزلة الآيتين.

(٣) تفسير ابن كثير (٧/ ٥).

فحاصل القراءتين يوسعه المعنى بحمد الله فعلى قراءة الرفع في التاء فإن المراد إثبات صفة لله سبحانه، أو عجب عبده ورسوله- ﷺ - مما أعطاه ربه من الكرامة والفضل، وعلى القراءة الأخرى بنصب التاء كان الخطاب متجها للنبي ﷺ من عجبه من تكذيب هؤلاء المنكرين للبعث. فتبين أنه لا تضاد ولا اختلاف بين القراءتين، بل هو اختلاف تنوع وتكامل وزيادة وتوسيع في المعنى والحمد لله.

٣-قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ (١)

أي وباله عائد عليكم، وتم الكلام، ثم ابتدأ فقال:" متاع الحياة الدنيا" أي هو متاع الحياة الدنيا، ولا بقاء له.

قال النحاس: بغيكم" رفع بالابتداء وخبره" متاع الحياة الدنيا". و" على أنفسكم" مفعول معنى فعل البغي. ويجوز أن يكون خبره" على أنفسكم" وتضمر مبتدأ، أي ذلك متاع الحياة الدنيا، أو هو متاع الحياة الدنيا، وبين المعنيين حرف لطيف، إذا رفعت متاعا على أنه خبر" بغيكم" فالمعنى إنما بغي بعضكم على بعض، مثل: ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾(٢) وكذا ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾(٣).

وإذا كان الخبر ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ فالمعنى إنما فسادكم راجع عليكم، مثل: ﴿وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَا﴾(٤).

وروي عن سفيان بن عيينة أنه قال: أراد أن البغي متاع الحياة الدنيا، أي عقوبته تعجل لصاحبه في الدنيا، كما يقال: البغي مصرعة.

وقرأ ابن أبي إسحاق" متاع" بالنصب على أنه مصدر، أي تتمتعون متاع الحياة الدنيا. أو ينزع الخافض، أي لمتاع، أو مصدر، بمعنى المفعول على الحال، أي متمتعين. أو هو نصب على الظرف،

(١) [يونس: ٢٣].

(٢) [النور: ٦١].

(٣) [التوبة: ١٢٨].

(٤) [الإسراء: ٧].

أي في متاع الحياة الدنيا، ومتعلق الظرف والجار والحال معنى الفعل في البغي. و" على أنفسكم" مفعول ذلك المعنى[١].

﴿مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ : أي ما تنالون بالبغي والفساد فإنما هو شيء تتلذذون به في الدنيا هذا قول أهل اللغة. وروي عن سفيان بن عيينة أنه قال: أراد أن البغي متاع الحياة الدنيا أي عقوبته تعجل لصاحبه في الدنيا.[٢]

فحاصل القراءتين يوسعه المعنى بحمد الله فعلى قراءة الرفع كان المراد وقوع البغي على صاحبه، وكان الابتداء بلفظة "متاع" أي أن المتاع الحاصل في هذه الدار الفانية لا عبرة له على الحقيقة لأن مآله إلى الفناء، وعلى القراءة الأخرى بالنصب كان المقصود أنكم تتمتعون متاع الحياة الدنيا، فتبين أنه لا تضاد ولا اختلاف بين القراءتين، بل هو اختلاف تنوع وتكامل وزيادة وتوسيع في المعنى والحمد لله.

ج. أمثلة لقراءات أزالت الإشكال:

١-قوله تعالى: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا﴾[٣]

قراءة العامة بضم النون وشد الراء من حرق يحرق. وقرأ الحسن وغيره: بضم النون وسكون الحاء وتخفيف الراء من أحرقه يحرقه. وقرأ علي وابن عباس وأبو جعفر وابن محيصن وأشهب العقيلي" لنحرقنه" بفتح النون وضم الراء خفيفة، من حرقت الشيء أحرقه حرقا بردته وحككت بعضه ببعض، ومنه قولهم: حرق نابه يحرقه ويحرقه أي سحقه حتى سمع له صريف، فمعنى هذه القراءة لنبردنه بالمبارد، ويقال للمبرد المحرق. والقراءتان الأوليان معناهما الحرق بالنار. وقد يمكن جمع ذلك فيه، قال السدي: ذبح العجل فسال منه كما يسيل من العجل إذا ذبح، ثم برد عظامه بالمبرد

(١) تفسير القرطبي (٨/ ٣٢٦).

(٢) معاني القرآن للنحاس (٣/ ٢٨٦).

(٣) [طه: ٩٧].

وحرقه. وفي حرف ابن مسعود:" لنذبحنه ثم لنحرقنه" واللحم والدم إذا أحرقا صارا رمادا فيمكن تذريته في اليم فأما الذهب فلا يصير رمادا(١)

فحاصل القراءتين يزيل الإشكال بحمد الله، والإشكال أنه كيف يحرق العجل وينسف وهو من ذهب؟ بناء على قراءة الجمهور وجاءت القراءة الأخرى موضحة ومزيلة لهذا الإشكال: أن يحرق العجل حرقا شديدا ويبرده بالمبرد حتى يتحات ويسقط ثم يذروه في البحر فيضيع فيه، فتبين أنه لا تضاد ولا اختلاف بين القراءتين، بل هو اختلاف تنوع وتكامل والحمد لله.

٢-قوله تعالى:﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾

وفي القراءة الأخرى: هل تستطيع ربك، وعلى القراءتين كان مقصودهم هل يفعل أو هل تجيبنا إلى أن تسأل ربك ذلك، فقد علموا أنه قادر على الإنزال وأن عيسى قادر على السؤال لا كما قد يفهم من شكهم في القدرة. (٢)

فحاصل القراءتين يزيل الإشكال بحمد الله، والإشكال أن ظاهر سؤالهم على إحدى القراءتين: أنهم يسألون هل يقدر ربك على فعل ذلك؟ فجاءت القراءة الأخرى موضحة ومزيلة لهذا الإشكال: وهو هل تستطيع أن تسأل ربك يا نبي الله عيسى أن ينزل علينا هذه المائدة فقد علموا أنه سبحانه قادر على الإنزال للمائدة وأن نبي الله عيسى قادر على سؤال ربه، فتبين أنه لا تضاد ولا اختلاف بين القراءتين، بل هو اختلاف تنوع وتكامل والحمد لله.

(١) تفسير القرطبي (١١/ ٢٤٢).

(٢) الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٢٦٤) بتصرف يسير وزيادة.

الخاتمـــة

فأحمد الله وأشكره على ما يسر وأعان من كتابة هذا البحث، وأبرز النتائج فيه ما يلي:

١-القراءات القرآنية علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوا لناقله وهو علم مليء بالتنوع والتكامل لا التعارض والتضاد.

٢-من فوائد تعدد القراءات بيان أن القرآن الكريم وقراءاته المختلفة من عند الله سبحانه، وهذه القراءات مع اختلاف لفظها ومعناها لم تتناقض ولم تتضاد فكل قراءة حق، واختلافها من باب التنوع ولله الحمد.

٣-كون اختلاف القراءات من باب التعدد والتنوع لا من باب التضارب والتضاد، يعد ضربا من ضروب البلاغة والإعجاز في القرآن الثابتة بالنقل في جميع القراءات.

٤-اختلاف القراءات في ألفاظ القرآن يكثر المعاني في الآية الواحدة.

٥-من المتقرر عند علماء هذا الفن أنه لو كان لكل قراءة تفسير بخلاف تفسير القراءة الأخرى قيل بهما جميعًا وصارت القراءتان بمنزلة آيتين.

ثبت المصادر والمراجع

١- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣ هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ.

٢- الإتقان في علوم القرآن - المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى٩١١ هـ) - المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم - الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة: ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م

٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣ هـ) - الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان - عام النشر: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥ م.

٤- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة - المؤلف: عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى: ١٤٠٣ هـ) - الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان

٥- بستان العارفين - المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ) - الناشر: دار الريان للتراث

٦- تاج العروس من جواهر القاموس - المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥ هـ) - المحقق: مجموعة من المحققين - الناشر: دار الهداية.

٧- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» - المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣ هـ) - الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس - سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

٨- تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٩- جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠ هـ) - المحقق: أحمد محمد شاكر - الناشر: مؤسسة الرسالة - الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٠-الجامع لأحكام القرآن - المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ) - تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش - الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة - الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤ م.

١١-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣ هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧ م.

١٢-القاموس المحيط - المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: ٨١٧هـ) - تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة - بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي - الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان - الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

١٣-القراءات وأثرها في التفسير والأحكام - المؤلف محمد بن عمر بازمول - دار الهجرة للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ١٤١٧ ١٩٩٦ هـ م.

١٤-لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١ هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

١٥-لطائف الإشـــارات لفنون القراءات - (ط. الأوقاف الســـعودية) - المؤلف: أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني أبو العباس - المحقق: مركز الدراسات القرآنية.

١٦-المبسوط في القراءات العشر - المؤلف: أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوريّ، أبو بكر (المتوفى: ٣٨١ هـ) - تحقيق: ســبيع حمزة حاكيمي - الناشــر: مجمع اللغة العربية - دمشــق - عام النشــر: ١٩٨١ م

١٧-مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

١٨-المصــباح المنير في غريب الشــرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠ هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.

١٩-مصــنف عبد الرزاق، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصــنعاني (المتوفى ســنة ٢١١ هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ.

٢٠-مختار الصــحاح لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦ هـ) - المحقق: يوسف الشيخ محمد - الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا - الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٢١-معاني القرآن - المؤلف: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨ هـ) - المحقق: محمد علي الصابوني - الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة - الطبعة: الأولى، ١٤٠٩.

٢٢-المعجم الوســيط - المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة - (إبراهيم مصــطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) - الناشر: دار الدعوة.

٢٣-معجم مقاييس اللغة لابن فارس، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥ هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية – ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢٤-المفردات في غريب القرآن - المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢ هـ) - المحقق: صفوان عدنان الداودي - الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

٢٥-منجد المقرئين ومرشد الطالبين - المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣ هـ) - الناشر: دار الكتب العلمية - الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢٦-النشر في القراءات العشر - المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣ هـ) - المحقق: علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ) - الناشر: المطبعة التجارية الكبرى.

٢٧-النكت والعيون - المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠ هـ) - المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان

فهرس الموضوعات

المحتويات

الملخـــص ٢٩٧

المقدمـــة ٢٩٩

المبحث الأول: مفردتا التنوع والتكامل ٣٠٢

المبحث الثاني: بيان معنى القراءات القرآنية. ٣٠٣

المبحث الثالث: حِكَم تعدد القراءات. ٣٠٥

المبحث الرابع: أمثلة على أن القراءات من باب التنوع والتكامل لا من باب التضاد

والاختلاف والتعارض. ٣٠٧

الخاتمـــــة ٣١٥

ثبت المصادر والمراجع ٣١٦

فهرس الموضوعات ٣٢٠